نداء الرفض والصمود

المناسبة: خطبتا صلاة الجمعة العبادية والسياسية

الزمان والمكان: 17 رمضان 1418هـ ق ـ جامعة طهران

الحضور: جموع المصلّين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ونؤمن به ونستغفره، ونصلّي ونسلّم على حبيبه ونجيبه وخيرته في خلقه وحافظ سرّه ومبلّغ رسالاته بشير رحمته ونذير نقمته سيّدنا ونبيّنا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمّد ف وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين المعصومين سيّما بقية اللّه في الأرضين، وصلّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أوصي جميع الإخوة والأخوات الأعزّاء المصلّين أن يغتنموا هذه الساعات والأيام والليالي الثمينة, ويغترفوا من هذه البركات الموفورة من الباري تعالى ـ في أيام شهر رمضان ولياليه ـ للمؤمنين، وأوصيهم جميعاً ونفسي بتقوى اللّه، ومراقبة أقوالهم وأفعالهم، والحذر من الطرق ذات المنزلقات ومواطن الشبهات التي لا تستطيع النفس الإنسانية اجتيازها باستقامة ويُسر وثبات.

هناك أمور ووسائل جعلها اللّه تعالى لحفظ كيان الإنسانية, ولحفظ الإنسان وإيصاله إلى الغاية، وعلى المؤمن أن يتعامل معها برقابة وان يستفيد منها على صعيد الحياة الفردية والاجتماعية؛ لِتُعينه على تجاوز تلك المنزلقات، وأن يُحسن استغلال الإمكانيات التي وفّرها اللّه للمؤمنين لبلوغ الهدف المنشود.

وحسن التصرف والحذر في أمثال هذه الأمور هو ما يُسمى بالتقوى.

وكما سمعتم مرّات عديدة أنّ أحد الغايات المهمة من صيام شهر رمضان هي: أن تتكون لدينا ملكة التقوى < لعلكم تتقون>.

وأنا حينما أنظر إلى الأعمال التي سنّتها الشريعة المقدسة لشهر رمضان من صوم، وتلاوة كلام اللّه، وقراءة الأدعية والتوسل بذيل العناية الربّانية، واستغفاره تعالى، أشعر أنّ الاستغفار ـ بغض النظر عن الصيام الذي يعتبر أمراً واجباً في شهر رمضان ـ

هو العنصر الأكثر أهمية من بين كل تلك الأعمال، إذ يجب علينا أن نطلب المغفرة منه تعالى على ما صدر منّا جهلاً أو قصوراً أو تقصيراً.

وقد سبق لي وأن تحدثت في العام الماضي في مثل هذه الأيام حول التوبة والاستغفار في شهر رمضان المبارك.

فرص التوبة والاستغفار

ولا أُريد التحدث ثانية عن موضوع الاستغفار بطريقة البحث العقلي أو الروائي، وإنما أريد التذكير بمناسبة قرب ليالي القدر المباركة، وهي ليال عزيزة وكريمة، بأنّ الخطوة الأولى في الاستغفار ــ يا أعزائي ويا إخواني وأخواتي ــ هي طلب المغفرة من اللّه والعودة إليه.

التوبة معناها: الأوبة إلى اللّه.

فحيثما كان الإنسان وفي أية مرحلة من الكمال, وحتى إذا كان في درجة أمير المؤمنين (ع) يبقى أيضاً بحاجة إلى الاستغفار، فقد خاطب اللّه عزّ وجلّ رسوله بالقول: <وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ>[1]، و <فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ>[2].

أمر اللّه في القرآن الكريم رسوله مرّات عديدة بالاستغفار، مع أنّ الرسول معصوم؛ لا يذنب ولا يعصي أمر اللّه، ولكنه مع هذا يأمره بالاستغفار.

ولكن مِمَّ يستغفر الأولياء والأكابر؟ هذا بحد ذاته موضوع جدير أن يبحث على حدة.

استغفارهم من أشياء ليست كذنوبنا؛ لأن أمثال هذه الذنوب لا تصدر عنهم, فالمقام الرفيع والقرب الإلهي قد لا يليق به احياناً ما هو مباح أو حتى ما هو مستحبّ بالنسبة لنا؛ لذلك فهو يستغفر من تلك الأُمور استغفاراً جادّاً، لا مجرّد استغفار شكلي.

لاحظوا كيف يبدأ أمير المؤمنين(ع) دعاء كميل ــ الذي تفيد الروايات بأنّه صدر عنه إنشاءً ــ بعد أن يُقسم على اللّه باسمه وبقدرته وبعظمته وبصفات جلاله وجماله، ثم يقول: «اللّهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم» وإلى آخر الدعاء.

وهكذا أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي، والأدعية الأخرى.

إذا كان هذا شأن الناس الكبار، فما أحوجنا أنا وأنتم للاستغفار.

ايّاكم أيّها المؤمنون وأيّها الأعزاء، ويا أصحاب القلوب النقية الطاهرة أن تغترّوا وتقولوا: إنّنا لم نذنب.

---

[1] سورة غافر، الآية:55.

[2] سورة النصر، الآية:3.

كلا، بل إننا غرقى في القصور وفي التقصير «وما قدر أعمالنا في جنب نعمك»[3].

وما هو قدر عمل الخير الذي نتصوّر أننا قد فعلناه، وما هي أهميّته وما نسبته إلى جانب نِعَم اللّه وفي مقابل حق الشكر للّه، فنحن غير قادرين على أداء حق شكره، «لا الذي أحسن استغنى عن عونك»، وهل بإمكان الإنسان الاستغناء عن فضل اللّه ولطفه في آنٍ من آنائه؟ نحن على الدوام بحاجة للطف اللّه، ولطفه يأتينا على الدوام «خيرك إلينا نازل، ونحن عاجزون عن شكره.

وهذا قصور أو تقصير يستدعي في كل الأحوال طلب المغفرة.

ليلة القدر فرصة سانحة للاستغفار وطلب العفو من اللّه تعالى؛ فهو طالما قد فتح المجال أمامي وأمامكم لنعود إليه ونطلب منه العفو والمغفرة، فلنفعل ونرجع إلى اللّه وإلاّ فسيأتي يوم يقول فيه عزّ وجلّ للمجرمين: <لا يؤذن لهم فيعتذرون>[4].

لأ يأذن لنا ــ لا سمح اللّه ــ يوم القيامة بالإعتذار، ولا يؤذن للمجرمين بالتفوّه بكلمة واحدة للاعتذار، فليس هناك مجال للاعتذار.

وما دام باب العفو مفتوحاً هنا، وما دام الاستغفار يرفع الإنسان درجة ويغسل الذنوب ويضفي على الإنسان نوراً فليستغفر وليعتذر إليه تعالى، وطالما كانت الفرصة سانحة لاسترحام وطلب الرأفة منه بنا, والعطف علينا؛ فعلينا بالمسارعة إلى مثل هذا العمل، <فاذكروني أذكركم>[5] أي في نفس اللحظة التي يتوجه فيها القلب إلى اللّه ويستحضر ذكره، يتفضل هو عليكم بلطفه ورحمته وبركته، ويمدُّ لكم يده بالبذل والعطاء.

علينا أن نفعل ما يؤهلنا لأن نكون مذكورين عند اللّه تعالى ولا يأتي الخطاب الإلهي <انا نسيناكم>[6].

هكذا يكون موقف يوم القيامة.

فلنغتنم هذه الفرصة التي حبانا اللّه إياها للتضرع والبكاء والتوسل إليه، وذرف دموع الطهارة والمحبّة من قلوبنا الدافئة على مآقينا، وإلا فسيحل يوم يقول فيه اللّه

---

[3] بحار الأنوار، ج95: 85. باب (6) الأعمال و أدعية مطلق ليالي شهر رمضان و أيامه.

[4] سورة المرسلات، الآية:36.

[5] سورة البقرة، الآية:152.

[6] سورة السجدة، الآية: 14.

تعالى شأنه للمجرمين: <لا تجأروا اليوم إنكم منّا لا تنصرون>[7]. هذه الفرصة هي فرصة الحياة, وهي اليوم متاحة أمامنا للعودة إلى اللّه.

ومن أفضل الفرص على مدار السنة هي جملة أيام، منها أيام شهر رمضان المبارك، وفي شهر رمضان ليلة القدر التي هي واحدة من ليال ثلاثة, كما جاء في الرواية التي نقلها المحدّث القميّ بأنهم سألوا الإمام عن الليلة التي يُرجى فيها ما يرجى، قال: إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قال: فإن لم أقو على كلتيهما؟ قال: ما أيسر ليلتين في ما تطلب.

كان البعض ينظر إلى شهر رمضان من أوله إلى آخره على أنّه ليلة القدر, ويؤدّون فيه أعمال ليلة القدر؛ فلنعرف قدر هذا.

الشعب الذي يصافي اللّه هكذا, ويستجير به عن صدق وإخلاص، يجيره اللّه بصدق ولا يصيبه سوء ولا خزي ولا فساد ولا ذلّة، ولا ينصاع لعدو، ولا يُبتلى بالخلافات الداخلية.

إن ما ينزل على الشعوب من المآسي إنما يأتيها من أيديها <فبما كسبت أيديكم>[8] أي من الغفلة والذنوب والمفاسد التي يقترفونها بأيديهم, ومن يلوذ باللّه يقترب خطوة من العصمة ويدنو نحو صيانة نفسه من المعاصي.

فعلينا أن نعتصم باللّه ونستعين به ونعمل لأجله ونسير في سبيله، ونفوّض نفوسنا إليه، ونُجلي قلوبنا بذكره.

وحينما تصفو القلوب وتُحرّر من حبّ الدنيا والتعلق بها والنوازع الماديّة ولا تكون القلوب رهينةً لها، يصبح المجتمع حينذاك مجتمعاً نورانياً ونقيّاً وطاهراً, ومثل هذا المجتمع يعمل أفراده بجد ونشاط ويعمّرون دنياهم.

طبعاً عدم التعلق بالدنيا لا يعني عدم إعمارها؛ إعمار الدنيا إذا كان في سبيل اللّه يدخل ضمن الأعمال الأخروية.

إنّ ما ينتهي إلى بناء الحياة المادية هو ما أمرنا به اللّه, وهو عمل أخروي أيضاً, وحتى هذه الأعمال أكملها وأفضلها وأحلاها هوما يقترن بذكر اللّه.

إعرفوا قدر هذه الأيام، واعرفوا أهمية ليالي القدر.

القرآن الكريم يصرّح <خير من ألف شهر>، هذه قيمة كبيرة.

---

[7] سورة المؤمنون ،الآية: 65.

[8] سورة الشورى، الآية:30.

وهي الليلة التي تنزل فيها الملائكة وكذلك الروح، وهي الليلة التي وصفها اللّه بأنها السلام والتحية الإلهية للإنسان، وبمعنى السلم والأمن والصفاء بين الناس وبين القلوب والأرواح والأجساد والمجتمعات.

اعرفوا أهمية هذه الليلة من الناحية المعنوية، وادعوا في ليلة القدر لِما فيه صالح البلد وصالح أنفسكم, ولِما فيه خير المسلمين والبلدان الإسلامية، واطلبوا من اللّه الحل لمشكلات المسلمين، وادعوا لهداية جميع الناس ولأنفسكم، وادعوا لمسؤوليكم ولبلدكم ولأسلافكم، ادعوا اللّه لِما تريدون, اعرفوا قدر هذه الساعات وهذه اللحظات.

كما وأني أسألكم الدعاء في ليالي القدر المباركة.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

<قل هو اللّه أحد, اللّه الصمد , لم يلد ولم يولد,ولم يكن له كفواً أحد>

الخطبة الثانية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمد (ص) وعلى آله الطيبين الأطهرين المنتجبين سيّما أميرالمؤمنين، والصديقة الطاهرة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنّة، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي الزكي العسكري، والحجة القائم المهدي، حججك على عبادك، وأمنائك في بلادك، وصلِّ على أئمة المسلمين وحماة المستضعفين وهداة المؤمنين.

أُوصي جميع الأُخوة والأخوات المصلّين بالتقوى في القول والعمل والفكر، وحتى في المشاعر والأحاسيس الاختيارية.

قبل الدخول في صلب الموضوع الأساسي الذي أودّ التحدّث فيه، أشير باختصار إلى بعض القضايا الأخرى؛ ومنها الحادثة الدامية المؤسفة التي وقعت في باكستان واستشهد فيها بعض المسلمين والمؤمنين من غير ذنب إلاّ لأنّهم شيعة، استشهدوا على يد مجموعة معاندة ومغرضة؛ وهي بلا شكّ حادثة مريرة.

وقد أكدّ لنا مسؤولو الحكومة الباكستانية, ووعدوا مراراً بمتابعة القضايا السابقة, ونحن أيضاً نرغب بالاحتفاظ بثقتنا بما وعد به هؤلاء السادة، ونأمل أن يتابع أصدقاؤنا الباكستانيون هذه القضية بمنتهى الجدية.

ولاشك في أنّ القضية تتعلق إلى حد بعيد بالعلاقات بين إيران وباكستان، وأعداء هذه العلاقات هم الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم، ويجب التصدّي لهم بحزم، وإلا فقد تتصور المذاهب الأخرى في المقابل انها يجب أن تحمل السلاح للدفاع عن نفسها بشكل أو بآخر، وتبادر إلى بعض الأعمال، وتتخذ القضية أبعاداً خطيرة جداً.

في مثل هذه المواقف يجب أن تتدخل الحكومة وتطارد المجرم بلا هوادة؛ من أجل بسط سلطتها.

القضية الأخرى، هي أيضاً قضية شديدة المرارة والألم، هي أحداث الجزائر.

طبعاً هناك في العالم من يشير بإصبع الاتهام إلى الحكومة الجزائرية, بصفتها هي المسؤولة عن هذه القضايا.

ونحن لا نريد هنا أن نعلن رأياً قاطعاً في هذا الصدد, ولكن ممّا لاشكّ فيه أنّ كل حكومة مسؤولة عن الحفاظ على أرواح رعاياها.

إنّ هذا مما يُثير العجب وقلّما تقع أمثال هذه الحوادث، حتى إننا لا نتذكر في الفترات الأخيرة أن يقوم أشخاص خلال فترة قصيرة بتعذيب المئات من الناس الأبرياء رجالاً ونساءً وأطفالاً, ثم ذبحهم وقتلهم على أبشع صورة، وتدّعي الحكومة أنها لا تستطيع التعرّف على الفاعلين.

إنها حادثة عجيبة وفي غاية المرارة؛ ومما يثير العجب أيضاً هو أنّ الأوساط الدولية وأدعياء حقوق الإنسان يثيرون الضجيج فيما لو تعرّض شخص لخدشة بسيطة؛ ولكن على شرط أن يكون غربياً أو تابعاً لهم، بينما نراهم يتعاملون مع هذه القضايا بكل برود؛ وسبب ذلك يعود إلى أنّ المظلوم فيها لا يقع في إطار الجماعات التي يهتمّون بها، ولا شيء غير ذلك.

سبق وأن شاهدنا هذه القضية قبل سنتين أو ثلاثة في البوسنة, وهذه بحد ذاتها قصّة عجيبة، لو أنّ الظلم الذي يقع في العالم يقع على أنصار القوى الكبرى وعلى أنصار الاستكبار، لجعلوا من الحبّة قبّة وأكثر من قبّة.

ولكن لو وقع الظلم على من لا يدخلون في عداد أنصارهم، أو على معارضيهم لاختاروا الصمت، بل ولقدّموا للظالم التشجيع والدعاية والعون.

وهذه من حوادث العصر العجيبة.

وسأُشير في البحث إلى مزيد من التفاصيل عنها. إننا نُدين هذه الحوادث بشدّة, كما نُدين الصمت والبرود في متابعتها.

الموضوع الثالث الذي أودّ الإشارة إليه هو يوم القدس, على الشعب الإيراني أن ينهض, بما أنه المتصدّي ــ في الجمعة القادمة وهي الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ــ ليوم القدس، بما يليق أن تحتذي به بقية الشعوب؛ بقية الشعوب تحتفي كل عام هنا وهناك ــ وحتى في نفس أوروبا ــ بيوم القدس احتذاءً بكم؛ وهذا ما يوجب عليكم رفع هذه الراية أكثر فأكثر يوماً بعد آخر, وعليكم أن تزيدوا هذا المشعل الوضّاء وهجاً ونوراً؛ لينتفع من نوره أكبر عدد ممكن.

كانت هذه القضايا هي التي أردت الإشارة إليها مقدّماً.

مواقف الجمهورية الإسلامية الثابتة تجاه الاستكبار

الموضوع الأساسي الذي أريد التحدث حوله اليوم ــ وهو ما كنت قد أشرت إليه ضمن حديثي في الأسبوع الماضي, إلاّ أنّ رداءة الجو لم يترك مجالاً لمتابعة ذلك الموضوع، كما وأنّ قضايا أخرى قد استُجدت حديثاً أوجبت عليَّ متابعته ــ هو الضجّة الإعلامية التي أُثيرت في الأسبوعين الأخيرين واستقطبت إليها أنظار العالم، وما اعتبر خبراً جديداً عن العلاقات بين إيران وأمريكا.

ثمّة لعبة إعلامية تعدّ لها حالياً وبشكل أساسي الأجهزة الأمريكية وتوابعها؛ من أجل إضفاء طابع حقيقي على أكذوبة مفضوحة؛ وهذا ما سبق أن أشرت إليه, وسلّطت عليه الأضواء في الخطبة التي ألقيتها في أول جمعة من شهر رمضان.

سأتحدث اليوم عن المحاولات الإعلامية لطمس حقيقة واضحة؛ في سبيل تمرير أغراضهم. وهذا المد الإعلامي صادر أساساً من قِبَل الأجهزة الإعلامية في خارج البلد، إلاّ أنّ له انعكاساته في الداخل أيضاً.

إنّ المواقف الثورية لبعض المتصدّين لأمر الصحافة ليست بالشكل الذي نرتجيه، فمن المؤسف أنّ بعض الصحف تنهج منهجاً يتماشى مع مواقف أعداء الثورة وأعداء الشعب الإيراني, والعناصر المرتبطة بالاستكبار, كالاستكبار الأمريكي على سبيل الفرض.

القضية التي أثاروا حولها الضجّة هي: أنّ الجمهورية الإسلامية في إيران تريد إعادة النظر في علاقاتها مع أمريكا! وطبّلوا لهذا الموضوع واعتبروه خبراً جديداً.

ولكنهم في الحقيقة أثاروا ضجّة وضخّموا موضوعاً واهياً لا أساس له من الصحّة؛ ولاشكّ أنّ لهم من وراء ذلك مقاصد، وهي مقاصد خطيرة على الشعب الإيراني.

أما نحن فيجب علينا معرفة العدو, ومعرفة ما يفعله؛ حتى وإن لم نتخذ أي خطـــوة في مقابل ذلك، وأن لا نسمح للعدو بفعل ما يشاء على الصعيد الإعلامي ضد الشـــعب الإيراني, وضد البلد وضد المسؤولين, ونلتزم جانب الصمت, بل لابدّ من معرفة أهداف العدو وغاياته.

أُشير إلى أنّ بعض وسائل الإعلام تعكس آراء صحيحة وصائبة يُدلي بهـــا بعـــض المسؤولين.

ففي الليلة البارحة شاهدت مقابلة أجراها التلفاز مع وزيـــر الخارجيـــة المحتـــرم, وتحدث فيها بكلام صحيح.

إنّ من واجبي أن أعرض الحقائق على الشعب كما هي, وأؤكد هنا أنّ هذه ليســـت هي المرّة الأولى، فقد وقعت أمثال هذه القضايا قبل هذا، وخاصّة في تلك المرّة التـــي يمكن مقارنتها بالوضع الحالي إلى حد ما.

فقد أثاروا من بعد رحيل الإمام ضجّة كبيرة أيضاً، حتى أنّ الصحف كتبت بعـــض المقالات، وكتب بعض المناوئين للثورة أُموراً وخطّؤوا فيها عهد الإمام صراحة, إلاّ أنّ الصفعة التي جاءتهم من الشعب لم تسمح لهم بالاستمرار على ذلك النهج.

لكن الضجّة هذه المرّة جاءت بشكل أوسع, وعلى نحو يختلف عمّا كان عليه فـــي المرّات السابقة.

أما الذريعة التي اتخذوها لإثارة هذه الضجّة فهي التصريحات التي أدلى بها رئيس الجمهورية المحترم قبل عدّة أيام، وهذا في الحقيقة ظلم كبير للشعب الإيراني ولـــرئيس الجمهورية، وطمس للحقيقة, وإخفاء لِما لا يريدون للناس الإطلاع عليه.

لابدّ من الإشارة بدءاً إلى أنّ تلك التصريحات قد بيّنت بوضوح مواقفنا المبدئية في مجال العلاقات مع أمريكا ومع إسرائيل، وأوضحت جميع ما ينبغـــي إيضـــاحه, وقـــد أصْغَيتُ لها تمام الإصغاء، وقد ذكر رئيس الجمهورية فيها ما كان يجب قولـــه بشـــأن التفاوض مع أمريكا، وما يجب أن يقال عن العلاقة مع أمريكا، وما يتعلق بإســـرائيل، وما يتعلق بالمجاهدين الفلسطينيين، وما يرتبط بالقضايا الداخلية.

وكان كلامه في غاية الروعة، وقد دعوت اللّه له ولـــوزير الخارجيـــة ولـــبعض المسؤولين الآخرين, الذين كانت لهم مواقف حسنة في هذه المجالات.

أمّا إذا كانت هناك قضايا تتعلق بالأذواق والسلائق، وبلهجة الكلام ولحنه فلا شـــأن لنا بها.

أما القضايا المبدئية والمهمّة, وهي المفاوضات, والحكومة الصهيونية, وما يتعلـــق بذلك فقد عرضت بكل وضوح.

فإذا لم يشأ العدو الإذعان لهذه التصريحات؛ لأنها جاءت خلافاً لرغباته، فهو عـدو ولا يُرتجى منه غير ذلك.

غايات وأهداف العدو من الإعلام المزيّف

يجب أن نفهم هدف العدو وأغراضه، وما هي الغايات التي يستهدفونها مـن وراء الضجّة الإعلامية التي تثيرها أجهزة الدعاية الأمريكية وخصومنا، ويؤكدون فيها على أنّ إيران تريد التفاوض مع أمريكا، وتريد إقامة علاقات تدريجية مع أمريكا؟!

من المسلّم به أنهم لا يستهدفون من وراء ذلك خير الجمهورية الإسلامية والشـعب الإيراني, وكثيراً ما كان الشعب الإيراني على مدى هذه التسعة عشر عامـاً ــ منـذ انتصار الثورة ــ عرضة للطعن والإهانات والاتهامات من قِبَل الحكومـة الأمريكيـة, ومن قِبَل أجهزتها الإعلامية كالصحف والإذاعة والتلفاز، وفي فتـرة الحـرب التـي استمرت ثمان سنوات وفي القضايا الاقتصادية، لم يصدر منها موقف واحد لصـالحنا! وهي لازالت تسير على هذا المنوال حتى يومنا هذا.

فما هو هدفهم إذاً؟ إنهم يستهدفون من وراء ذلك عدّة أُمور أُشير إليها بإيجاز.

وعليكم أنتم أن تفكروا في هذه الأُمور، وخاصّة أنتم الشبّان المتعلّمـون والطـلاب والجامعيون وطلبة العلوم الدينية، فكروا في هذه القضايا جيّداً؛ لأنها مهمة جداً.

ففي أمثال هذه القضايا التي تبدو صغيرة قد يُصاغ مستقبل شعب بأكمله، وخاصّـة في مثل هذه البرهة، وإذا لم يدرك الشعب والشباب والمسؤولون حقيقة الأمور، قد تنفتح ــ لا سمح اللّه ــ ثغرة صغيرة تؤدي إلى هدم كل شيء.

ما هو الهدف الذي تبتغيه أمريكا وإمبراطوريتها الدعائية من وراء القول: إنّ إيران راغبة بالتفاوض مع أمريكا.

إنها تستهدف من وراء ذلك عدّة أُمور، منها: أولاً: تحويل الأداة التي كانت حتـى يومنا هذا سبباً في وحدة الشعب إلى أداة اختلاف بين أبناء الشعب.

ما دام الشعب الإيراني يدرك أنّ أمريكا هي عدوته، فهو متأهّب لمواجهتها؛ وحتى إذا كانت ثمة اختلافات جزئية فهو يتفاداها ويتلاحم بوجه أمريكا.

إذاً فمجابهة أمريكا كانت إحدى الوسائل لوحدة هذا الشعب, وهم يستهدفون من وراء هذا الضجيج إحالة هذه الأداة الوحدوية إلى أداة للإختلاف بين هذا وذاك، فهذا يدعو إلى التفاوض، والآخر يرفض، وغيره لا يرى فيه من بأس! ولأجل إثارة الجدل بين هـذه الفئة وتلك، ولكي تتحول هذه الوحدة الجماهيرية الصلبة بين أبناء الشعب بوجه العـدو، إلى اختلاف ونزاع.

هذا هو الهدف الأول فتأمّلوه بدقّة.

ثانياً: إنهم يحاولون من وراء تكرار هذه القضيّة إزالة قبح العلاقة مع أمريكا من أذهان شعبنا, الذي يرى العلاقة مع أمريكا من أقبح الأشياء، ولديه في رؤيته هذه دلائل منطقية سأُشير إليها.

فهدفهم هو إزالة قبح هذه القضية كما فعلوا مع العرب حول قضية إسرائيل.

الدول العربية كانت ذات يوم ترى الحوار أو العلاقة مع إسرائيل بل وحتى مجرد ذكر اسمها، من أقبح الأمور؛ ولكنهم عملوا من خلال طرح قضية التفاوض، وإثارة تلك القضية، وتقديم شخص في الواجهة، وطرد شخص من الصف العربي وإلقاء المسؤولية على عاتقه، على إزالة قبح هذه القضية؛ إلى أن أضحت حتى الدول العربية التي لا حدود لها مع إسرائيل, ولا ضرر ولا تهديد عليها منها, تتحدث في مجامعها عن التفاوض مع إسرائيل.

المفاوضات مع أمريكا في نظر القائد

إنّ للشعب الإيراني أسبابه المنطقية واستدلالاته الرصينة في اعتباره الحكومة الأمريكية عدوّة له، وهو ما سأُشير إليه لاحقاً.

وهذا ما تعلّمته جميع شعوب العالم من الشعب الإيراني, وباتت تنظر إليه بعين التكريم والاحترام.

بينما يرومون هم إلى إزالة قبح الحوار وتحويله إلى أمر عادي وطبيعي.

ثالثاً: من المهم بالنسبة لأمريكا ــ بصفتها قوّة عظمى ــ أن تتفاوض مع إيران.

وقد يتعجب البعض ويقول: وما أهمية إيران حتى تهتم أمريكا ــ مع ما توصف به من قوّة عظمى ــ للجلوس مع إيران على طاولة المفاوضات؟ أجل, إنه أمر مهم جداً بالنسبة لها، وبما أنها دولة كبرى فهي تبدي اهتماماً فائقاً لهذه القضية.

فالقوّة العظمى هي تلك القوّة الأعظم من سائر القوى السياسية في العالم والقادرة على فرض إرادتها عليها.

كانت في هذا العالم قوّتان كُبريان هما أمريكا والاتحاد السوفيتي, وكان لكل منهما منطقة نفوذ، وكان بإمكانهما أن يفعلا ما يشاءا، حتى إنّ أمريكا نصبت صواريخها في أوربا في مقابل الاتحاد السوفيتي ولم يكن أمام الأوربيين بُدٌّ من القبول بذلك؛ لأنها كانت في واجهة الدفاع ضد الاتحاد السوفيتي السابق, وكان الاتحاد السوفيتي يفعل مثل ذلك في مناطق نفوذه, والآن وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أخذت أمريكا تدّعي وتسعى بشدّة لإيجاد نظام ذي قطب واحد في العالم؛ لتكون هي القوّة المهيمنة على إمبراطورية كبرى اسمها العالم.

وهذا الكلام لا يتورّع أصحاب النظر من الساسة الأمريكيين عن التصريح به، وإنما يُنشر في الصحافة الأمريكية، وتُدبلج المقالات السياسية الفكرية بهذا المضمون.

وقد قرأت قبل حوالي شهر ونصف مقالة في إحدى الصحف الأمريكية بقلم كاتب سياسي أمريكي شهير يخاطب فيها العالم قائلاً: ما ضَيْرَ أن تكون أمريكا على رأس إمبراطورية واحدة في العالم؟ فأمريكا اليوم كذا وكذا!! إنّهم يسعون اليوم في سبيل تلك المزاعم, إلاّ أنّ ثمة بلد لا يبدي لهذه القوّة الكبرى بكل ادعاءاتها السياسية, ومزاعمها العالمية أي احترام, ولا يعير لها أية أهمية، وذلك هو الجمهورية الإسلامية في إيران.

فالجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني أصبح يُعرف في العالم بأنه كاسر هيبة أمريكا.

وسبق لي وأن أكّدت مراراً أنّ اقتدار القوى العظمى يكمن في هيبتها، وهيبتها هي القادرة على أداء ما تريد، وإلا فتلك القوى لا تدخل كل ميدان, ولا تستخدم السلاح في كل مكان، وإنما هيبتها وشوكتها وكلامها هو الذي يُرغم الدول والحكومات الضعيفة والأحزاب السياسية على الخوف منها والتراجع أمامها.

فإذا أصبحت إيران الإسلامية, التي وقفت بوجه أمريكا منذ اليوم الأول ــ لأسباب واضحة ولم تستسلم لها وقالت لا نتفاوض مع أمريكا ــ مستعدة للتفاوض، سيقولون حينذاك، ها قد اكتملت مقوّمات القوّة الكبرى، وها هي القوّة التي كانت تأبى الانصياع، قد انصاعت الآن, وقبّلت الأعتاب.

إنّ مجرّد المفاوضات وحدها مهمّة بالنسبة لهم.

من الطبيعي إنّ مسألة العلاقة ليست على هذه الشاكلة، أما الذي يحظى بأهمية فائقة بالنسبة لهم هو أنّ تجلس إيران على طاولة المفاوضات؛ وإذا ما بدأت المفاوضات ستكون لقضية العلاقات حينذاك حكايات وقصص.

النقطة الثانية ــ التي تكمن وراءها أهمية التفاوض مع إيران بالنسبة لأمريكا هي ــ: إنّ حركة إيران الإسلامية والجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني أدّت إلى إيقاظ المشاعر الإسلامية في العالم؛ وأخذ المسلمون في آسيا، وفي أفريقيا، وحتى في أوربا يُعبّرون عن مشاعرهم الإسلامية بنوع من المواجهة، بعضهم عن طريق المواجهة السياسية مع الحكومات، والآخر عن طريق الحركات الإصلاحية.

وهذه كلّها قد انحدرت من هذه القمّة، من قمة الجمهورية الإسلامية والإمام وهذا الشعب.

أنا أعرف بعض الأشخاص، ولدي معلومات أيضاً أنّ البعض في العالم الإسلامي قد اعتنق مذهب أهل البيت بدون أي تبليغ، والعامل الوحيد الذي أثّر فيهم هو قضايا الحرب.

فأنتم أيّها الشباب، وأنتم أيّها المعوقون والمضحّون حينما كنتم تتوجهون إلى ميادين القتال، وكانت الأخبار تذاع في العالم بهذه الصورة، وحينما كانت الأمّهات يبدين كل تلك الشجاعة والثبات، أدى كل ذلك إلى اعتناق بعض الأشخاص في العالم الدين الإسلامي وحدا ببعض المسلمين إلى التشيّع، وزاد عدد محبّي الثورة والذائبين في محبة هذه الثورة والإمام والشعب الإيراني، وثارت المشاعر الإسلامية أكثر.

ومحور كل هذه المظاهر هو الشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية.

إذا جلست الجمهورية الإسلامية على طاولة المفاوضات مع أمريكا، يصفو الجو للأمريكيين في العالم كله, فإذا ما رأوا تحرّكاً مضاداً لهم في موضع ما يقولون: لماذا تتعبون أنفسكم؟ فأنتم مهما كنتم لا تبلغون منزلة إيران، ومهما فعلتم لا تصلون إلى شجاعتها وعظمتها وشوكتها، ومع ذلك فقد أرغمت في نهاية المطاف على الجلوس على طاولة المفاوضات.

فإذا استسلم الشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية وجلس على طاولة المفاوضات مع أمريكا، سيطمئن بال أمريكا من الكثير من الحركات التحررية في العالم الإسلامي.

القضية الأخرى التي تجعل المفاوضات ذات أهمية بالنسبة لهم هي: أنّ الكثير من الحكومات تربطها صلات صداقة مع أمريكا، بمعنى أنها خاضعة للهيمنة الأمريكية ومنقادة لها في مواقفها السياسية, وتأتمر بأوامرها في إقامة أو عدم إقامة العلاقات السياسية والاقتصادية مع هذه الدولة أو تلك.

فإذا ما شاهدت هذه الدول الخاضعة للسيطرة الأمريكية أنّ هناك دولة تسمى جمهورية إيران الإسلامية لا تعير أية أهمية لأمريكا، ثم إنّ أمريكا لا تستطيع إلحاق أي ضرر بها، فستفكّر حينئذ أنّه ما الداعي لتخوّفنا من أمريكا؟ وهذا السؤال يراود أذهان الكثير من مسؤولي البلدان الإسلامية وغير الإسلامية من بلدان العالم الثالث ــ كما يسمّونها ــ التي بدأت تخرج من حالة التبعية والانقياد وسببت الكثير من الإزعاج للإدارة الأمريكية.

وهذا كله ناتج عمّا شاهدوه من مواقف صلبة للجمهورية الإسلامية ضد أمريكا، وعدم قدرة الأخيرة على النيل منها، وغاية ما تستطيع فعله أنّها تسنّ أحياناً قانوناً على

غرار قانون «داماتو» لينتهي مفعوله تلقائياً بعد بضعة أشهر من صدوره، وتبدأ تلك الحكومات بالتفكير وترى عدم وجود سبب يدعوها للانقياد لأمريكا.

إنّ مثل هذا التفكير ينطوي على مخاطر كبرى بالنسبة لأمريكا، فيدفعها إلى البحث عن إجابة، فإذا ما جلست الجمهورية الإسلامية معهم على مائدة المفاوضات، ستقول حينذاك للدول الأخرى: لاحظوا كيف أنّ الحصار الاقتصادي والضغوط التي مارسناها على إيران قد أنهكتها وأرغمتها على الرضوخ, وفرضت عليها النزول من تلك القمة التي كانت تعتليها.

ومعنى هذا: إنّ أمريكا تستطيع الإيحاء للدول السائرة في فلكها أنّ الأمر ليس كما تتصورون، وما من أحد قادر على البقاء في مأمن من الضرر، وحتى إنّ الجمهورية الإسلامية أرغمت في نهاية المطاف على النزول لإرادتنا.

النقطة الأخرى ــ التي تضفي على المفاوضات أهمية كبيرة بالنسبة لأمريكا بصفتها قوّة كبرى، هي ــ :إنّ المجابهة الدائرة منذ تسع عشرة أو عشرين سنة حتى الآن على الصعيد السياسي العالمي بين قطب الاستكبار بزعامة أمريكا من جهة، وقطب الإسلام ومحوره الجمهورية الإسلامية من جهة أخرى، كان التقدم فيها لصالح قطب الإسلام.

فإذا نظرتم على امتداد التسع عشرة سنة الماضية تلاحظون حتى إنّ بعض الدول التي لم تكن تُشمّ منها رائحة الإسلام قد استُجدت فيها أوضاع أتاحت لحكومات إسلامية ــ بما يتناسب وأوضاع تلك البلدان على الأقل ــ تسلّم زمام السلطة فيها، من قبيل ما حصل في تركيا على نحو ما، وفي الجزائر على نحو آخر، وفي بلدان أخرى بصيغ أخرى، وقد تصدّوا لجميع تلك الحالات طبعاً، إلاّ أنهم غير قادرين على التصدّي لمشاعر الجماهير، ولا يمكنهم التعامل مع مشاعر الشعب كما تعاملوا مع حكومة حزب الرفاه في تركيا, أو مع بعض الحكومات الأخرى.

فمشاعر الشعوب باقية على حالها.

إذاً كان النصر والتقدّم حتى الآن حليف قطب الإسلام في المجابهة القائمة بينه وبين قطب الاستكبار، ولم يحرز قطب الاستكبار أي تقدّم؛ ولهذا يستهدفون من وراء إشاعة خبر التفاوض مع الجمهورية الإسلامية الإيحاء بأنّ هذه الدولة قد استسلمت واضطرت للتنازل والتفاوض معنا، وبالتالي الإيحاء بأنَّ قطب الإسلام قد هُزم في هذه المجابهة واضطر للتراجع، وأنّ قطب الاستكبار هو المنتصر، وأنّ الإسلام الثوري قد تنازل عن كلامه.

يريدون القول: إنّ كل ما قاله الإمام على مدى السنوات العشرة الأولى من الثورة، وضعه المسؤولون والشعب جانباً بعد مرور ثمان أو تسع سنوات ، ومعنى هذا تخطئة كل ما قيل؛ لأن الإمام أكّد مرّات ومرّات بأننا لا نهادن العدو ولا نستسلم له.

وهذا هو الهدف من كل هذه الإشاعات.

وأخيراً فإن غرض أمريكا من إشاعة أنّ الجمهورية الإسلامية قد انصاعت للتفاوض مع أمريكا والجلوس معها على مائدة المفاوضات، والتخلّي عن أقوالها وادّعاءاتها ضد الاستكبار، هو أن تجني أكبر ما يمكن من فائدة.

ولهذا السبب، بالرغم من تأكيد رئيس الجمهورية المحترم في المقابلة التي أُجريت معه على أننا لا نتفاوض ولا حاجة لنا للتفاوض، نراهم اعتبروا كلامه ذلك مقدمة للتفاوض ودليلاً على الرغبة بالتفاوض، بل قالوا: إنّهم قد جلسوا للتفاوض, وصرّح كل واحد منهم بكلام ما، وملؤوا العالم ضجيجاً.

أسباب ودواعي قطع العلاقات مع أمريكا

فإذا كان هذا هو هدف أمريكا وأجهزتها الدعائية من هذه الضجّة، فما هو موقفنا نحن؟ لقد صرّحنا بموقفنا مرّات عديدة، وهو ليس بالأمر الجديد.

فقد صرّح به الإمام مرّات عديدة، ومن بعد الإمام أكّدناه نحن والمسؤولون، ومسؤولوا السياسة الخارجية, ومن يتحدث ويعمل في هذا المجال.

وكلامنا هو نفس ذلك الكلام الرصين، وهو ليس مما يقال اليوم ويُتراجع عنه في الغد.

ومع هذا فإني أوضّحه باختصار:

إنّ أي موقف مبدئي يراد اتخاذه باسم الثورة وباسم نظام الجمهورية الإسلامية لابدّ وأن يكون قائماً على الدليل والمنطق؛ فنحن أهل منطق، وحكومتنا حكومة استدلال، وقوانيننا شرّعت على أساس الأدلة، ومعارفنا أيضاً لها أدلّتها, وكذلك الحال في مواقفنا السياسية, فإن لها أدلّتها أيضاً.

وقد يبادر البعض إلى رفع شعارات فيما يتعلق بهذه الأمور، ولا مانع من إطلاق مثل هذه الشعارات، إذ إنّ وراء هذا الشعار دليل وبرهان ومنطق وعقيدة دينية.

الركيزة الأساسية التي يقوم عليها هذا المنطق هي أولاً: المصالح الوطنية لهذا البلد، وثانياً: المبادئ والمعتقدات التي جاهد من أجلها الشعب الإيراني, وقدّم في سبيلها الشهداء والمعوّقين، وصمد في سبيلها حتى استقطبت إليه أنظار شعوب العالم.

إنّ مواقفنا خاضعة لهذه المعايير.

إنني أُلخّص كلامي تحت ثلاث عناوين موجزة، وأبدأ أولاً بالحديث عن الوضع الراهن وهو: أنّ قطع العلاقات مع أمريكا جاء كنتيجة لسلوك أمريكا وكنتيجة لطبيعتها الإستكبارية، أو في الحقيقة نتيجة للظلم الذي لحق بالشعب الإيراني, هذا أولاً.

والثاني: إنّ التفاوض مع أمريكا وإقامة العلاقات معها، لا ينطوي على أية فائدة للشعب الإيراني.

وثالثا: إنّ المفاوضات والعلاقات مع أمريكا في ضرر الشعب الإيراني.

أمّا النقطة الأولى التي ذكرت فيها بأن قطع العلاقات مع أمريكا جاء كنتيجة لسلوكها، فهي أنّ سياسة الحكومة الأميركية دخلت بلدنا منذ أوائل العشرينات فصاعداً أي منذ عام 1320 هـ ش، فما تلاه، حيث دخلوا وبسطوا نفوذهم تدريجياً وحلّوا محل البريطانيين.

وقد مارسوا خلال فترة سبعة وعشرين عاماً من الهيمنة التامة على إيران أبشع أنواع الظلم والإهانة والإساءة التي يمكن أن تقترفها دولة مستكبرة ضد شعب مظلوم؛ فقد عملوا على توطيد أركان النظام البهلوي المستبد ووجّهوا الإهانات لمسؤولينا ولأبناء شعبنا, حتى بلغ الأمر أنهم جاءوا ببعض الساسة ونفّذوا مخططاتهم بما يحلو لهم، واسقطوا الحكومات الوطنية و.. و..

لقد اقترفوا الكثير من الجرائم، ولو شاء أحد إحصاء الجرائم التي ارتكبتها أمريكا على مدى سبع وعشرين سنة التي سبقت انتصار الثورة لألّف كتاباً سميكاً.

وبعدما انتصرت الثورة كان أول ما قام به أبناء الشعب في يوم 21 ويوم 22 بهمن أنهم دخلوا السفارة الأمريكية واعتقلوا الأمريكيين وعصّبوا أعينهم وجاءوا بهم إلى المقر الذي كنّا فيه أيام الثورة.

وكنت على ثقة بأن الإمام سيصدر أمراً بإعدامهم أو ما شابه ذلك, إلاّ أنه وخلافاً لتوقّعات الجميع, وحتى خلافاً لتوقّعات الأمريكيين أنفسهم أمر بإطلاق سراحهم، وأعيدوا إلى السفارة.

وقد غادر بعضهم إيران بعدما رأى أنّ الأوضاع فيها لا تناسبه، فيما مكث الآخرون فيها.

ومع كل هذا فإن العلاقة مع أمريكا لم تقطع من قِبَلنا بعد انتصار الثورة، فما معنى هذا؟ يعني أنّ الشعب الإيراني الذي تجرّع الظلم من الأمريكيين على مدى ثلاثين سنة, ولم يكن قادراً على الرد بالمثل حينذاك، ولكنه بعد انتصار الثورة وبعدما أمسك بزمام السلطة بيده، ألا يمكنه الرد بالمثل؟ طيّب، لقد كان من المتوقّع أن يصدر منه رد فعل,

إلاّ أنه لم يبدِ أي رد فعل، وأمر الإمام بالإفراج عنهم؛ فغادر البعض منهم وبقي البعض الآخر, وبقيت علاقاتنا السياسية قائمة مع أمريكا.

أمّا الحكومة الأمريكية فقد تجاهلت هذا التسامح من قِبَل الثورة والشعب الإيراني؛ فما أن اطمأنّ بالَهم في الأيام الأولى حتى جعلوا من سفارتهم وكراً للتآمر على نظام الجمهورية الإسلامية.

وبدأت أمريكا باتخاذ إجراءات ضد إيران، وصدرت عن مجلس الشيوخ فيها حركة قبيحة آنذاك أثارت غضب أبناء الشعب، فاحتشدوا في إحدى ساحات طهران وعبّروا عن سخطهم واستنكارهم لهذا العمل الأمريكي.

شرعوا منذ اليوم الأول بالتآمر على الجمهورية الإسلامية والإساءة إليها، فحرّضوا أعداءها على العمل ضدّها، ومهّدوا لقيام انقلاب عسكري.

ومعنى هذا أنهم لم يستعبروا بدروس الماضي.

وكانت النتيجة الحتمية لأمثال هذه الأعمال أن اقتحم الطلبة الثوريون السائرون على نهج الإمام مبنى السفارة وأخذوا أعضاءها رهائن؛ وكان ذلك العمل بمثابة عقوبة للأمريكيين.

وحينما يريد الأمريكيون حالياً التحدث عن تاريخ العداء بين الحكومة الأمريكية والحكومة الإيرانية يبدأون من قضية السفارة, وحينما أجروا معي مقابلة في العام الذي ذهبت فيه إلى منظمة الأمم المتحدة في نيويورك في عهد رئاستي للجمهورية، كان أول شيء يطرحه المراسل هو موضوع السفارة, وبأننا قد اعتقلنا أعضاء سفارتهم.

في حين أنّ تاريخ هذا العداء لا يبدأ من تلك الفترة، وإنما قبلها.

وإذا عُرضت عليهم القضايا التي سبقت موضوع الرهائن تراهم يقولون: هذه من قضايا الماضي، ودعونا عن الماضي.

فإذا كانت تلك من مخلّفات الماضي، أليست قضية السفارة من مخلّفات الماضي؟ كثيراً ما يطرحون هذه القضية ويقولون لماذا هاجمتمونا؟ في حين أنّ ذلك العمل كان رد فعل ناجم عن الغضب الثوري لشعبنا الذي فعل خيراً ولم يقتلهم، وإلا فلو أنّ شبابنا لم يلتزموا بالأصول والتقوى لقضوا عليهم في مكانهم؛ لكنهم لم يفعلوا ذلك, وحفظوا للأمريكيين نفوسهم.

وبعد مدّة أُحيلت قضيتهم بأمر الإمام إلى المجلس، وأطلق سراحهم وذهبوا.

إذاً فالقضية مبعثها الطعنات الأمريكية والضربات التي وجهتها لنا والتآمر علينا، ومؤامرة قاعدة الشهيد «نوجه» وقضايا أخرى كثيرة تواصلت واستمرت ضد الجمهورية الإسلامية إلى أن بدأت الحرب المفروضة.

أثناء الحرب قدّموا السلاح لعدو الشعب الإيراني.

إنّ أحد الأمور المتعارفة بين الشعوب والدول هو أنه إذا كانت هناك دولتان في حالة حرب، وجاءت دولة ثالثة وقدمت السلاح لأحدهما, أو وفّرت له المعدات العسكرية أو الإستشارة العسكرية، فإن ذلك يعتبر دخولاً في الحرب ضد الطرف الآخر.

وهم قد دخلوا الحرب ضدّنا.

هذه القضايا يجب أن لا يتغاض عنها.

لقد وقف الشعب الإيراني ضد هذه الأعمال وهذا الظلم في مقابل أمريكا.

وسبق لي وأن ذكرت في العام الماضي أنّ شعبنا كإمامه أمير المؤمنين(ع) الذي كان أقدر إنسان وأكبر مظلوم في العالم معاً.

فنحن لا نعرف أحداً أكثر قوّة واقتداراً من أمير المؤمنين(ع) على أنّ شعبنا لا يعرف شخصاً نزل به ظلم كالظلم الذي نزل بأمير المؤمنين (ع).

الشعب الإيراني على شاكلة إمامه عيناً.

أمريكا الشيطان الأكبر

نحن لا نعرف في زماننا شعباً له من الاقتدار والنشاط والحيوية كالذي أبداه الشعب الإيراني خلال العقدين السالفين، إلاّ أنّ أكثر الشعوب مظلومية هو الشعب الإيراني.

ومن الظالم الأكبر له؟ هو الشيطان الأكبر، أجل الشيطان الكبير.

يسألون لماذا تُطلقون علينا إسم الشيطان الكبير؟ طيّب ما معنى الشيطان؟ الشيطان هو من يرتكب أعمالاً شيطانية.

كفّوا عن أعمالكم الشيطانية حتى لا نصفكم بصفة الشيطان الأكبر، لكن الشعب الإيراني شعب حيّ ويجب أن لا تقارنوه بالشعوب الأخرى.

الشعب الإيراني يجابه مثل هذه الحكومة ويقاومها ولا يكترث لها، ويقطع علاقته معها، ويتّخذ في الميادين الدولية مواقف مضادّة لمواقفها الباطلة, هذا من جانب.

ومن جانب آخر هناك أيضاً مواقف أمريكا على الصعيد العالمي.

أمريكا اليوم أكبر حماة الحكومة الصهيونية الغاصبة التي هي من أسوأ الكيانات السياسية في العالم؛ لأنّها طردت شعباً من أرضه.

فهل سمعتم بمثل هذا في العالم؟ وهل سمعتم به على مدى التاريخ؟ فهل يصح أن يأتي أحد ويطرد أُسرة أو جماعة أو أهالي مدينة أو مليون إنسان، أو شعب من بلده، ويتسلّط على المتبقين منهم بأسوأ الأساليب ويعاملهم بأبشع وجه؟ وهل هناك أقبح او أسوأ من هذه؟ إضافة إلى معاملة أبناء ذلك الشعب بمنتهى القسوة.

وإنّ ما قيل في تلك المقابلة عن الإرهاب كان كلاماً صحيحاً تماماً: أنّ رمز الإرهاب الذي ترعاه الدول اليوم هو الحكومة الصهيونية الغاصبة.

لقد أثارت هذه التصريحات حفيظة الصهاينة جداً.

لكنه في الواقع كلام صحيح تماماً.

لاحظتم كيف يعاملون الشعب الفلسطيني, وماذا يفعلون مع الشعب اللبناني؟ تأتي طائراتهم العمودية وتضرب القرى اللبنانية وتختطف أهاليها.

فأين توجد مثل هذه الممارسات في العالم؟

الأمريكيون هم أكبر حماة للصهاينة, ألا تعتبر هذه جريمة كبرى؟ ألا يكفي هذا لأن يتفوّه شعب يصرخ بالحق كالشعب الإيراني, ليقول لهم: لا علاقة لي معكم، وإنني أرفضكم واستنكر سلوككم.

وهذا هو ما يقوله الشعب الإيراني اليوم للشعب الأمريكي.

هذا هو العنوان الأول.

لا طائل من إجراء المفاوضات مع أمريكا

أما العنوان الثاني فهو أنّ العلاقة والتفاوض مع أمريكا لا يُجني من ورائه الشعب الإيراني أيّة فائدة كما يُشيعون.

لاحظوا جيّداً أنّ أمريكا وأجهزتها الدعائية ــ كما عرضت على حضراتكم في تلك الجمعة ــ تحاول اليوم أن تُشيع في العالم بأنّ الشعب الإيراني يواجه بعض المشاكل، ومفتاح هذه المشاكل هو التفاوض مع أمريكا.

والحقيقة أنّ هذا الكلام لا يصدّق ولا ترتجى من ورائه أية فائدة.

لاشكّ في أنّ المفاوضات تحمل بين طيّاتها أضراراً سأشير إليها لاحقاً.

أما من ناحية الفائدة فلا فائدة فيها.

من الخطأ أن يتصوّر المرء أننا إذا تفاوضنا سيُرفع عنّا الحصار الاقتصادي ويُلغى قانون داماتو[9]، وما شابه ذلك.

وذلك أولاً: لأن الإجراءات الأمريكية ضد إيران مُنيت كل واحد منها بالفشل بعد مدّة، وانتهى مفعولها تلقائياً.

فهل هذه هي المرّة الأولى التي يعاملوننا بها على هذه الصورة؟ وهل هذه هي المرّة الأولى التي يوجّهون لنا فيها التهديدات؟ وهل هذه هي المرة الأولى التي يعلنون فيها

---

[9] يفرض هذا القانون عقوبات على الشركات الأجنبية التي تتعامل مع كل من ليبيا وإيران في مجال النفط والغاز وتزيد استثماراتها على أربعين مليون دولار في العام.

الحصار الاقتصادي ضدّنا؟ وهل هي المرّة الأولى التي يُحرّضون فيها هذه الدولة أو تلك على عدم التعامل مع إيران، وأن لا يعقدوا معها هذه الاتفاقية أو تلك؟ ليست هذه المرة الأولى.

وهي كثيراً ما كانت تفعل هذا.

وكل ما أنجزناه نحن طوال التسع عشرة سنة المنصرمة، وكل ما حققته حكوماتنا من مكاسب عبر هذه السنوات, جاء في وقت لم تكن أمريكا راغبة بتحقيق شيء منه.

ولهذا السبب فسخت في العام الماضي عقداً كان قد أُبرم بين شركة لهم وشركة الغاز الإيرانية؛ وكانت نتيجة ذلك: أولاً: إنّ تلك الشركة أعلنت لمسؤولينا عن استيائها من هذا الإجراء، وأنها ستعاود إبرام هذا العقد في أول فرصة تُسنح لها.

وإحدى المشاكل التي تواجهها أمريكا حالياً هي تلك الشركات التي لا يمكنها إبرام عقود في حقل استثماراتنا النفطية في الخليج الفارسي، وهو ما يغيظ تلك الشركات بشدّة.

وليست هذه قضية حديثة العهد وإنما تعود إلى ما يقارب السنة.

حتى إنّ تلك الشركات اجتمعت وأصدرت بياناً مشتركاً ضغطت فيه على الحكومة الأمريكية، واستطاعت تحجيم قانون داماتو إلى حد بعيد. إذاً فهم أكثر حاجة إلينا منّا إليهم.

ثانياً: بمجرّد أن فسخت تلك الشركة الأمريكية في السنة الماضية عقدها مع شركة الغاز الإيرانية، تقدّمت بعد فترة وجيزة شركة فرنسية لإبرام ذلك العقد؛ وهذا ما دفع بالأمريكيين إلى إثارة ضجة احتجوا فيها على إقدام الشركة الفرنسية لإبرام الاتفاق مع إيران, إلاّ أنّ الحكومة الفرنسية, بل وكل دول الاتحاد الأوروبي وقفوا بوجهها, وأصرّوا على إبرام ذلك العقد, وأكّدوا أنه لا يحق لهم تنفيذ المطالب الأمريكية في هذا المجال.

إذاً فمشاكل الشعب الإيراني ليست بيد أمريكا، ولا هي قادرة على خلق مشكلة حقيقية لنا.

وهي وإن كانت تحاول وتبذل مساعٍ خبيثة، إلاّ أنّ الأمور ليست بيدها.

تلاحظون أن الدول التي تفرض عليها وزارة الخارجية الأمريكية (عقوبات) حسب تعبيرهم، كأن تهدد الصين بالعقوبات، وتتعامل مع الاتحاد السوفيتي بصيغة معيّنة، ومع تركيا في زمن حكومة حزب الرفاه بصيغة أخرى، وما إلى ذلك، أليست لهذه الدول علاقات مع أمريكا، وتتفاوض معها.

كل الدول التي تعاملها أمريكا بغلظة لها علاقات معها؛ سياسية واقتصادية.

فالعلاقة مع أمريكا والتفاوض معها لا يحول دون مواقفها العدائية.

هنالك دول لها سفارات في أمريكا، أو لأمريكا سفارات في عواصمها، وتوجد بينهما علاقات سياسية وقنصلية متينة، إلاّ أنّ أمريكا تدرجها في قائمة الدول الإرهابية في العالم.

ولا أورد هنا ذكر اسم دولة بعينها.

ويا حبّذا لو يتولّى الأخوة في وزارة الخارجية وفي غيرها، وفي الإذاعة والتلفاز بيان ذلك للشعب.

فلا تتصوّروا أننا إذا تفاوضنا مع أمريكا أو أقمنا معها العلاقات فإن أمريكا ستسكت ولا تنطق بشفة وتتخذ موقف المتفرّج منها.

كلا, فالكثير من الدول لها علاقات تبدو ظاهرياً وكأنها علاقات وثيقة ومؤدّبة على الصعيد العالمي، ولكن في الوقت نفسه، متى ما رأت أمريكا ضرورة تُوجّه لها ضربة, وتفرض عليها الحصار الاقتصادي، وتكيل لها التهديدات.

إنّ الأمريكيين أُناس مستكبرون.

والإنسان المستكبر والبلد المستكبر يسعى إلى فرض كلامه.

إذاً فالأمر ليس كما يُتصوّر بأنّ العلاقة ذات فائدة لبلدنا، ولو انعدم وجودها أو وجود المفاوضات تتراكم علينا المشاكل، وإذا أقيمت العلاقات تزول تلك المشاكل.

كلا، فلا أمريكا يدها مبسوطة لإيجاد المشاكل، ولا العلاقات والمفاوضات تتصف بمثل هذه القدرة السحرية لصالح بعض الدول.

لا صحة لأي من هذه الأوهام, بل إنّ ذلك رهين بقدرة الشعب وبعزم الحكومة، ومنوط باقتدارنا وبمدى اعتزازنا بقابليّتنا على مجابهة أمريكا, والعمل وفقاً لإرادتنا وفي ضوء ما تقتضيه مصالح بلدنا.

كُنّا ذات يوم في حالة حرب، وقبل ذلك مرّت حكومتنا بظروف عصيبة من حيث الإمكانيات الحكومية، ولم يستطع المستكبرون القيام بأي عمل ضدنا، ولم يتمكنوا من إلحاق أي ضرر ذي بال بنا.

أما اليوم فقد أصبحت الجمهورية الإسلامية ــ والحمد للّه ــ دولة قوية وعزيزة، ويُنظر إليها على الصعيد العالمي على أنها دولة ذات شوكة واقتدار، وهي رئيسة للمؤتمر الإسلامي، وتعتبر عضواً معتبراً في الكثير من المؤتمرات العالمية, وتُبدي لها الدول والشعوب احتراماً فائقاً.

فمِمَّ نخاف اليوم، ولماذا؟ لماذا نتصوّر أننا إذا واصلنا نفس الموقف الذي كنّا عليه منذ تسع عشرة سنة سيحصل لنا كذا وكذا؟!

أمريكا هي التي بحاجة لنا, إضافة إلى أنها لا تملك نفس القوة التي كانت عليها قبل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة.

كان كلام أمريكا يقابل ذات يوم في أوروبا وغيرها بالاحترام، وتُعامل هي بالتكريم، ولكنها اليوم ليست كالأمس.

فدبلوماسية أمريكا وسياستها الخارجية في موقف ضعيف، وليس لها موقف قوي, ولا يمكننا استخدام هيبتها كقوّة كبرى في مقابل شعبنا في حين أنها في حالة ضعف.

العنوان الثالث: هو أنّ العلاقة والتفاوض مع أمريكا يحمل أضراراً للشعب الإيراني وللنهضة العالمية للإسلام.

وأول تلك الأضرار هو أنّ الأمريكيين ما أن يدخلوا هذا الميدان يحاولون الإيحاء إلى أنّ الجمهورية الإسلامية قد تراجعت عن جميع ما كانت تُصرّح به في زمن الإمام, وفي فترة الحرب والدفاع المقدس وفي أيام الثورة.

وأول ما سيُشيعونه في العالم هو أنّ الثورة الإسلامية قد اضمحلّت وانتهت، مثلما يهمسون بهذا الكلام حالياً, مع أنّ شيئاً من هذا القبيل لم يحصل!

رأيت قبل بضعة أيام كلاماً لرئيس دولة أفريقية, مرسلاً بواسطة التلكس, يقول فيه: إنّ إيران كانت تزعم مدّة من الزمن أنها تعارض أمريكا، ولكنها تمهّد حالياً لإقامة علاقات صداقة معها، وتمدّ لأمريكا يد الصداقة.

ومع أنّ شيئاً لم يحصل حتى الآن, إلاّ أنّهم يتحدثون بمثل هذا الكلام! وسيملؤون أجواء العالم بالدعايات والإشاعات ضد الشعب الإيراني وضد الجمهورية الإسلامية, بأنّها تراجعت عن مبادئ ثورتها، وسينتهكون حينذاك كرامة الثورة أمام العالم وأمام المستضعفين، ويثيرون الشكوك في القلوب؛ وهذا ما سينتهي إلى أفول نهضة العالم الإسلامي، وسيسلب الشعب الإيراني استقلاله.

كان هذا الشعب على مدى 150 سنة، أي منذ أواسط عهد ناصر الدين شاه القاجاري, وحتى يوم الثورة خاضعاً لنير القوى الأجنبية.

وإذا كان السلاطين ممن سبق تلك الفترة مستبدّين وظَلَمة وملعونين، فهم كانوا على أدنى الاحتمالات قد صانوا كرامة هذا الشعب وهذا البلد، ولم يكونوا خاضعين للتسلّط الأجنبي, ولكن منذ أواسط وأواخر عهد ناصر الدين شاه القاجاري بدأ تغلغل الأجانب وتدخّلهم في شؤون إيران, وبقيت هذه الحالة تتفاقم حتى العهد البهلوي حيث وقعت إيران جملة واحدة في قبضة الأجانب.

جاء الانجليز برضاخان إلى السلطة, وبقي في قبضتهم إلى أن أزاحوه, ونصبّوا محمد رضا بدلاً عنه، وبقي هو الآخر في قبضتهم, وبعد عدّة سنوات دخل الأمريكان إلى الساحة بما لديهم من أموال وإمكانيات, وبقيت إيران ومصير الشعب الإيراني بِيَد الأجانب, إلاّ أنّ الشعب الإيراني استطاع أن يردّ على ذلك الاستخفاف والإهانة بالثورة.

إنّ أحد أبعاد هذه الثورة أنّها كانت ضربة للخونة والمرتبطين بالأجنبي، وللأجهزة العميلة للأعداء وللأجانب.

وكانت الثورة في الواقع تعبيراً عن غضبة الشعب الإيراني ضد النفوذ الأجنبي.

والآن وبعد كل هذه الدماء التي أريقت في سبيل الاستقلال، يعود أدعياء ملكية هذا البلد أي الأمريكيون الذين يدّعون لأنفسهم ملكية هذا البلد، ويتدخلون في شؤونه ويتغلغلون في مختلف أجهزته، ويبدأون بجمع أعداء الثورة، وما شابه ذلك! وهل سيسمح الشعب الإيراني بمثل هذا؟ وهل تنازل الشعب الإيراني عن ثورته وعن إمامه وعن عزّته واقتداره حتى يسمح للأمريكيين بالعودة إلى هذا البلد مرّة أخرى؟

لقد قلنا مراراً وتكراراً إنّنا لا شأن لنا بالشعب الأمريكي، فهو أيضاً كسائر الشعوب له محاسنه ومساوئه وهذا شأن يتعلق به، وقضيّتنا مع الحكومة والنظام الأمريكي الذي يناصب العداء للجمهورية الإسلامية والثورة والشعب الإيراني.

وصرّحتُ مرّات عديدة وقلت: إنهم إذا لم يكونوا يروا من مصلحتهم المجاهرة بهذه الغاية، إلاّ أنّ حقيقة الأمر هي هذه؛ إنهم أعداء لإستقلالكم ولإسلامكم ولعزّتكم، وهم أعداء لصمودكم أمام أطماعهم, ويتكالبون للقضاء عليها.

إلا أنّ السُنّة الإلهية تجري على خلاف مشيئتهم.

السُنّة الإلهية تقضي ببقائكم وقوّتكم وانتصاركم، وسيكون النصر حليفكم إن شاء اللّه.

ونحن كما صرّح رئيس الجمهورية في تلك المقابلة، وكما أكّد المسؤولون الآخرون لا حاجة لنا بالعلاقة مع الأمريكيين, ولسنا بحاجة لإقامة علاقات مع أمريكا ولا للتفاوض معها, وسيمضي الشعب الإيراني بإذن اللّه قُدُماً ــ رغم أنف الأعداء ــ ويطوي مدارج الرقي والتقدّم يوماً بعد آخر.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

<إذا جاء نصر اللّه والفتح, ورأيت الناس يدخلون في دين اللّه أفواجاً , فسبّح بحمد ربك واستغفره انه كان توّابا>

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته